

كاتب اسرائيلي يفضح هشاشة حكومته وعنصريتها

سامي ميخائيل يسأل : الى اين اختفت بلاد الامال ؟

م.م. علي محمد رشيد

يطرح الكاتب الاسرائيلي المخضرم سؤالاً له اهمية كبيرة عن الوضع الاجتماعي في اسرائيل ، فبين قضية شراء الغواصات وموجات النقد الموجهة الى المحكمة العليا ، وبين التكتل الاجتماعي والتفرقة العنصرية ، يصرخ الاديب الاسرائيلي بكلمات تعبر عن الالم.

يحكى ان الاديب ( اشعياهو ليوببيتش ) صادف ذات مرة في طريقه الاديب ( شموئيل يوسف عجنون ) الذي سأل ليوببيتش قائلاً : " لماذا يا ترى قد خفت بريق التوراة لدى الناس ؟ " . اجابه ليوببيتش ممتعظاً : " لكونها قد تحولت الى غطاء يُرتدى به ، اي انه اصبحت مهنة وحرفة يقوم بها اناس يدعون بالتقرب من الله واطاعة اوامره ، لذلك يسمون انفسهم ربانيين " . في الحقيقة ، ان هؤلاء الاشرار الذين قلبوا التوراة وتعاليمها الى مهنة يحظون بمنزلة الربانيين. في ايام الشتات لم يؤثر الكثير من هؤلاء على التوراة وعلى التقاليد اليهودية ، اما اليوم فاسرائيل تكتظ بهؤلاء الربانيين الذين ينتحلون شخصية المرشد الروحي ويناهلون علينا بالنصائح منذ إبصارنا للنور وحتى فراقنا للحياة. والكثير منهم لديهم حصانة تقيهم من الانتقادات على الرغم من كونهم لصوص وسراق ، منحرفون ، طائفيون ، ومهاجمتهم لمؤسسات الدولة . ففي الوقت الذي أقر به قانون علمانية دولة اسرائيل ، الذي تحول الى قانون شفاف يوماً بعد آخر ، يتجمع الاتقياء مع السياسيين الفاسدين أو زعماء مرتشين يعملون على تحقيق مصالحهم الشخصية على حساب الناس .

يقف الناس في اسرائيل امام الثالث المنبوذ : حكومة فاسدة ، اهدار الثروات ودين متطرف ومتشدد بلا حول ولا قوة ، صامت ومقيد. اما الحكام فيدعون بالديموقراطية وانتشار العدل والمساواة ، لكونهم يمتلكون العديد من النفوذ في ( الكنيسة ) . ليس معنى الديموقراطية هو حكم الاغلبية فحسب ، انما هي الحفاظ على حقوق الاخر ، معنى الديموقراطية هي دعم الانسان الضعيف ماديا ومعنويا ، حسناً ، اذا الغت حكومة اسرائيل المساعدات والدعم الغذائي لكبار السن ، وكذلك معارضتها لتخصيص رواتب لهم بحجة العجز في الميزانية فهي بذلك تركلهم الى دون مستوى الفقر في ايامهم الاخيرة من الحياة ، مثل هذه الحكومة لا تسمى حكومة ديموقراطية.

معنى الديموقراطية هو الدفاع عن القانون والمحكمة من الانتقاد ، ونحن نرى اليوم موجة الانتقادات الخبيثة والخطيرة ضد المحكمة العليا ، على سبيل المثال ، كلام احد اعضاء الكنيسة بان يرغب بالصعود على جرار والتوجه الى مبنى المحكمة العليا لغرض تدميره. معنى الديموقراطية هو حرية التعبير وحرية الراي . معنى الديموقراطية هو حرية النظار للناس باختلاف الوانهم واديانهم ولكن بدون اعمال عنف وعدم الاصطدام برجال الامن .

تحت مظلة الدعاية الكاذبة ولغة الخداع النابعة من الثالث المنبوذ ، تتجه اسرائيل اليوم نحو طريق العالم الثالث المظلم البعيد كل البعد عن العالم المتحضر . وفي الحقيقة ان الضحية الاولى والاكثر تضرراً من قسوة هذا النظام هي الشريحة الاكثر ضعفاً في اسرائيل ، الا وهم العرب ، والذين يطمحون لحياة كريمة تحت ظل حكومة عادلة . فنحن نذكر حملة الاقتراء التي شُنت ضدهم قبل اشهر ، عند ظهور موجة الحرائق الاخيرة ، فلم تنفع تصريحات المواطنين العرب بان الارض هي ارضهم كما هي ارض اليهود ، وان الالم هو الم مشترك لجميع الطوائف . ودائماً ما يكون المواطنين العرب هدفاً للتهميش والعنصرية بصورة جلية او بالخفاء ، بسبب موجات التحريض من قبل الحكومة . و بذلك تخلق الحكومة لنا اعداء جدد.

دائماً ما يحظى الرباط المنبوذ بين السلطة المتعجرفة وبين الاشرار بتأييد المطلق من قبل الراسماليين . فالبدوين يزداد سمنة والهزيل يهوي الى بحور الديون والفقر . فالاول بامكانه شراء شقة بالملايين ، بينما الاخر يكون محظوظاً لو استطاع توفير ايجار شقة مهدمة ، اما اذا انقطعت به السبل فانه يُطرد ويعيش في الشارع من قبل البارونات العقارية .

تتحد الطبقات الفقيرة في اسرائيل في الوقت الحالي الى هاوية الفقر بسبب الاسقطاب الطبقي ، حيث تعيش هذه الطبقات تحت رحمة الديون المتراكمة للكهرباء والمياه ( متطلبات العيش الرئيسية ) ، بينما تفرض الحكومة عليهم ضرائب مرتفعة . وعليه فان الاطفال الذين يولدون للفقراء يكتب عليهم العيش بالتنقل على اخر يوم في حياتهم ، وكذلك ظل الفقر البيغض وحياة قصيرة . ان الغواصات التي تم شراؤها مؤخراً بمليارات الدولارات ، كان من الممكن ان تنقذ اموالها الكثير من المشردين من خط الفقر .

ولا يخفى عن العيان ان شخصية المحتل الغاصب هي مثالا للثقافة الاسرائيلية ، فنحن نسكن على ارض ليست لنا ، والاستيلاء على الاراضي هو قانون نحتذي به ، اضافة الى هذا فهناك امر اخر ، الا وهو موضوع العنف ضد المرأة ، الذي يجعلنا في المرتبة الاولى بين دول المنطقة . حيث تتعرض النساء في المجتمع الاسرائيلي الى التفرقة بالاجور والرواتب ، ليس هذا فحسب انما تتعرض الى الاعتداء الجنسي بشكل كبير ، دائماً ما تظهر لنا حالة على وسائل الاعلام حول الاغتصاب او التحرش الجنسي ، وفي اخر احصائية أُجريت على النساء في اسرائيل ، ان واحدة من اصل ثلاث نساء تتعرض الى التحرش الجنسي . لا بل من الصعوبة ان تجد امرأة عذراء اليوم في المؤسسة او الدائرة ، البنك ، الحانة او المنزله العام ، الجيش ، او في مكتب قائد او في بيت حاخام .

الاكثر خطراً اليوم ، ان تكون اسمر البشرة في اسرائيل ، وكثيراً ما تتحول الشخصية المكلفة بالدفاع عنك ، كأن تكون رجال الشرطة او افراد الامن في حانة ليلية ، الى شخص معادي . فقد رأينا كيفية التعامل مع الاثيوبي الاسمر البشرة في النادي الليلي وكيف تمت تصفيته خشية من عمليات طعن او سرقة المال ، حيث تم قتله امام ناظري ابنه . والحقيقة يكون الشخص الاسود هدفاً للتعذيب النفسي والجسدي من قبل البيض كما لو كان يهودياً في المانيا النازية .

انني الان ابلغ من العمر 90 سنة . وصلت الى اسرائيل وعمرى 23 سنة . رأيت العديد والكثير من نظرات الامل الحاملة بمستقبل مشرق ، تأمل بحياة يسودها العدل والمساواة . اذكر انه في المعهد الكيميائي

الذي عملت به ، كان راتب السائق العادي في الدائرة مساوياً لراتب المدير لكون السائق له العديد من الاولاد. وهنا نسال : الى اين اختفت ارض الاحلام ؟ اين اختفت حقوق الانسان في مجالات عدة ؟ ، وكيف أُجبر بعض الناس على الخضوع لسياسات مجحفة ؟ وفي الوقت الحالي الثقافة والاعراف تحولت الى خرافات ، حتى منظمات حقوق الانسان هي منظمات خارجة عن القانون ودائماً ما تحارب من بعض المتنفعين والطفيليين . والحال ليس افضلأ مع وسائل الاعلام التي تنتقد سياسات الحكومة . اضافة الى الوسط الاكاديمي ، الذي اصبح هدفاً لهؤلاء الطفيليين ، فقبيل فترة وجيزة سمعنا عن فكرة سيئة حول تبلور اناس متخلفين لادخالهم الى المؤسسة الاكاديمية . وكذلك الادب الذي اصبح بيدي اناس ضيقي الافق.

يجب على الانسان ان يكون شجاعا لكي ينهض ويصرخ صرخة اصلاح الوطن من السلطة الغاشمة . فليس كل انسان قادر على ان يكون كذلك . فاننا اتفق مع قول دالاي لاما : " ان هدفنا الاساسي في الحياة هو مساعدة الاخرين . وان كنتم لاتستطيعون ذلك فلا تؤذونهم " . في الحقيقة يمكنني القول ان الكثير من المثقفين والكتاب قد استسلم لضغط الحكومة ، وللاسف ، ان هناك العديد من الكتاب والشعراء من سخرُوا اقلامهم وشعرهم خدمة لاعداء الثقافة .

على الرغم من هذا كله ، عاصرت الكثير من الامبراطوريات والحكومات الدكتاتورية التي كانت تطمع للبقاء امد الدهر ، وشاهدت بأمر العين كيف ان هذه الامبراطوريات الحديدية قد تهاوت بعقب تراب بسيط قادم من تحت انسان طامح للحرية ، واخيراً بقي ان اقول ، ان هذا الكابوس الجاثم على صدورنا اليوم سيزول حتما ذات يوم.

